

❖ حوار الحضارات بالقول والفعل

كلمة الدكتور/ أرثر كريس إيكيل

الملحق الثقافي

-سفارة الولايات المتحدة الأمريكية-

إن نقاشنا اليوم حول "الحوار" بين الحضارات ليس شفوياً فقط، أنه من الممكن أن توجد اختلافات في معاملات وممارسات تستلزم العمل لحل مشاكل ناجمة عنها. إنه هنالك حوار الكلمات، وحوار آخر بالأفعال.

لقد جربنا هذين الحوارين في الولايات المتحدة الأمريكية لمدة تفوق مائتي (200) سنة لم يكن ذلك سهلاً توجد مظاهر من هذا التاريخ لسنا فخورين بها ولكننا نفتخر بالتقدم الذي أحرزناه.

توجد أقليات عبر العالم بأجمعه. فكل مجموعة تمثل أغلبية في مكان ما هي أقلية في مكان آخر إننا في الولايات المتحدة سنصبح متنوعين جداً إلى درجة أنه لن تكون عندنا أية أغلبية في المستقبل القريب، سوف تصبح أمة مكونة كلياً من أقليات لقد توجب علينا تعلم كيفية تبادل وجهات نظرنا بطريقة سلمية وبناءة، مع احترام وجهات النظر الأخرى؛ لقد توجب علينا كذلك تطوير كفاءات حماية حقوق وحريات الأقليات بكوننا أمة أقليات، لم نحتاج إلى عبقرية ما للاكتشاف بأن اتحاد بلدنا يستلزم حل هذه المشاكل.

من بين ميزات الطريقة الأمريكية لحوار الحضارات على مستوى المعاملات نجد فصل الدين عن الدولة لقد حصل هذا في الولايات المتحدة كشرط لإنشاء الاتحاد الفيدرالي للمستعمرات الثلاثة عشرة، لقد كانوا كلهم مسيحيين، ولكن لم يكن لهم نفس المذهب لم ترد أي مستعمرة أن تتخذ الحكومة الفيدرالية مذهباً ما كدين رسمي، خوفاً من أن يصبح مفروضاً على الآخرين. لقد قبلوا بكل وسط، بحيث أن تمنع



الحكومة الفيدرالية من أي اتصال مع الدين إن المبدأ لا يزال يطبق حتى الآن وأن التمييز على أساس الدين يمنع القانون منعاً باتاً.

إن التعامل اللطيف بين المجموعات المختلفة لم يبتدئ في الولايات المتحدة في العالم العربي ثمة بعض المدن التي وجد فيها نظام الملل لقد وجد في القاهرة أحياء مسلمة، وحي قبطي، وحتى حيّ يهوديين: اليهود الربانيين والقرئيين كان لكل حي شرعه للأحوال الشخصية إن الدولة الحديثة تختلف عن هذا النموذج، لأنه يطبق في غالب الأحيان نظاماً قضائياً موحداً. وهذا يطرح أسئلة مهمة على بعض مجموعات المجتمع الاجتماعية.

إنه يتوجب على الأقليات المسلمة أن تتعامل مع المسائل التي يطرحها واجب العيش وفقاً للشرعية الإسلامية وهم يعيشون في دولة غير مسلمة. لحسن الحظ، حياتنا متكونة من أفعال كثيرة، وفي الأغلبية الشاسعة لا توجد أية مشكلة لكن المسلمين لن يكونوا غير مباينين بالمشكلة حينما قام أتاتورك بإبطال الخلافة الإسلامية (3 مارس 1924)، قلق الكثير من المؤمنين لقد عقد ممثلون لمجتمعات إسلامية من البلدان المسلمة مؤتمراً في القاهرة عام 1926 للتقرير ما العمل.

لقد كان ذلك فعلاً المجلس الإسلامي الأول لقد قاموا بإصدار قرار ينص على أن الخلافة موجبة في الإسلام، وأن المؤمنين لا يمكنهم أن يكونوا مسلمين بأكمل المفهوم إذا لم يبايعوا الخليفة (18 ماي 1926 - ر. المنار مجلد 27، 1926). لأن الظروف السياسية لم تسمح بإعادتها، قام المسلمون اللاحقون بالقبول بأنها لا تمثل شرطاً لهم شخصياً لعيش حياة يتقبلها الله تقبلاً كلياً.

خلال العقود الأخيرة، لقد ازداد عدد السكان المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية بطريقة سريعة لقد أحصى بطريقة غير رسمية بأربعة في المائة (4%) من مجمل



السكان الأمريكيين، أي أكثر من سبعة ملايين تقريبا، ثلث هؤلاء هم مهاجرون عرب، 30% هم مهاجرون آسيويون، 5% منهم مهاجرون أتراك وما يقارب 3% هم مهاجرون إيرانيون ومن المجموع 30% ولدوا بالولايات المتحدة وأكثر من النصف لا يبلغون العشرين سنة الكثير منهم لا يزال في مسار التكيف ببلدهم المتبنى حديثا. وفي نفس الحين يوجد حوار المعاملات الذي ينشأ بينهم وبين المؤسسات الأمريكية إنه لقاء ليس بين حضارتين فقط بل كذلك بين نظامين قضائيين متطورين جدا.

ولفهم طبيعة اللقاء، إنه من المفيد فهم بعض التفاصيل في الأحوال الشخصية في القانون الأمريكي والشريعة الإسلامية في الإسلام، يتبع الزواج نفس الشكل القاعدي لأحكام العقد الإسلامية. طالما كل الشروط الشرعية متوفرة، بإمكان كيلا الطرفين التفاوض حول بعض التفاصيل، ومن الأمثلة على ذلك قدر المهر؛ كم يدفع مقدما، وكم يؤجل؛ يمكن أن يتم ذلك بطريقة مبدعة لقد قال لي أستاذي الدكتور/ فضل الرحمان عن أستاذ وشاعر باكستاني؛ في عقد زواج يشترط أن يكون المهر بقدر ألف باوند إنجليزي (452 كيلو غرام) من قلوب الفراش كله مؤجل. وإن حدث طلاق لن يتمكن أحد بالطبع من تسديد مبلغ كهذا لقد أراد الزوجان عبر هذه الطريقة خلق عائقا للطلاق ولحسن الحظ كانوا سعداء مع بعض، ولم تتاح الفرصة لامتحان شرعية هذا الشرط. إنه موضح على نحو مبين أن الزواج في الدين المسيحي ليس عقدا إنه عهد شخصين إلى الله كل التفاصيل تضعها وتفرضها الكنيسة التي تمثل الله.

في الغرب، عندما قررت الدولة تولي كل ما يتعلق بالزواج، قامت بتبني نفس النموذج، باستثناء أن في الزواج المدني يقوم الزوجان بالعهد إلى الدولة؛ ويمكن لمن أراد أن يتزوج دينيا، لكن تعترف الدولة به كزواج مدني وتفرض عليه شروطه



ونتائجه القانونية مثلاً، إذا قام قس كاثوليكي بعقد زواج، يقبل زواج الزوجين من عند الله، أي الكنيسة، وليس مسموحاً لهم بالطلاق لكن نفس الزواج معترف به من قبل الدولة كزواج مدني والطلاق مسموح به، وإذا حدث طلاق فهو غير معترف به من قبل الكنيسة ويمكن لكلا الطرفين التزوج بشخص آخر عن طريق زواج مدني، لكن هذا الشخص يرتكب الزنا في نظر الكنيسة. وفي الواقع إذا عاش شخصان معاً من دون زواج، تعتبرهم الدولة بعد فترة ووقت منصوص عليها كمتزوجين، وتفرض عليهم كل حقوق وواجبات الزواج، سواء أرادوا ذلك أم لا إن الدولة تعامل الزوجة المسلمة والمسيحية بنفس الطريقة.

إذن أين يترك ذلك المسلمين الأمريكيين؟ كيف يكون بإمكانهم عقد زواج شرعي، ليس شكلاً فقط، لكن بنتائج شرعية تنفذها الدولة؟ سوف أعطيكم تفسير الدكتورة عزيزة الحبري، أستاذة القانون في جامعة ريتشموند الأمريكية، وإحدى المؤسسات لمنظمة المحاميات المسلمات الأمريكية.

لكن قبل هذا، أحتاج إلى تفسير أن المسلمين ليسوا الأوائل الذين سألوا عن ما إذا كانت هنالك إمكانية للأزواج أن يعقدوا عقود زواج من خلال قانون الأسرة الأمريكي. لقد أحست العائلات الثرية بالحاجة إلى حماية ثرواتها خشية من أن تقر الدولة بتقسيم الأملاك نتيجة الطلاق الذي سوف يؤدي إلى تقسيم أملاك العائلة، وخاصة إذا تزوج شخص ثري من آخر ومن طبقة أكثر تواضعاً لقد أصبحوا على وجود تدابير تمنع ذلك. ولقد نتج عن هذا خلق قانون العقد قبل الزواج. إذا قام الزوجان بتوقيع عقد يشترط هذا قبل زواجهم، سوف يكون بمثابة عقد ملزم في حالة حدوث طلاق.



وفقا لعزيمة الحبري، يمكن لكتب الكتاب أن يعقد كعقد قبل الزواج ولا يسمح هذا أن يتم عقد الزواج وفقا للشريعة فقط، بل يوفر تنفيذ الدولة. هذا لا يعني أنه من الممكن أن يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية كل ما تسمح به أحكام الشريعة الإسلامية المختصة بالأحوال الشخصية فكما تعلمون، القانون الأمريكي يمنع تعدد الزوجات، ورغم أنه كان مسموح به في الكتاب المقدس. تصر الدكتورة عزيزة الحبري على شيء مهم رغم أنه يمكن أن القانون الأمريكي لا يسمح بكل ما هو مسموح به في الشريعة الإسلامية، فإنه لا يفرض شيئا حراما أو مكروها، ولا يمنع المسلمين من أداء واجباتهم الدينية بإمكانهم أن يؤدوا واجباتهم الإسلامية لكي يكونوا مسلمين مثاليين. إن مثال الكنيسة الكاثوليكية ومنعها للطلاق يشير إلى أن مسائل قانون العائلة لا ينحصر في المسلمين فقط مثال آخر هو مثال "شهود الله"، مذهب مسيحي لا يسمح بنقل الدم. إذا كان نقل الدم ضروريا لإنقاذ حياة طفل، لا يمكن شرعا للوالدين أن يمنعوه. وإذا فعلوا، ومات الطفل، فسوف يحاكمون بتهمة القتل. إن حماية الدولة لحرية الدين لا تمتد لتشمل حرية منع طفل من عملية نقل الدم. إن مسألة تعدد الزوجات لم تطرح حينما أتى المسلمون للولايات المتحدة الأمريكية إن المذهب المورموني المسيحي يسمح أيضا بتعدد الزوجات، وقد تم تشريع هذا القانون منذ زمن طويل للتعامل مع قضيتهم، منذ ذلك الوقت قررت الكنيسة المورمونية أنه بالرغم من أنها تواصل الإيمان بتعدد الزوجات من حيث المبدأ، فلقانون الكنيسة الأسبقية فيما يخص الواجب والحرام؛ ويقبلون قوانين الدولة فيما يخص المسموح.



منذ زمن طويل للتعامل مع قضيتهم؛ منذ ذلك الوقت قررت الكنيسة المورمونية أنه بالرغم من أنها تواصل الإيمان بتعدد الزوجات من حيث المبدأ، فللقانون الكنيسة الأسبقية فيما يخص الواجب والحرام ويقبلون قوانين الدولة فيما يخص المسموح.

اسمحوا لي الآن التطرق إلى الحوار بين الحضارات على مستوى الكلمات، إنه من المحتوم أن يكون لهذا الحوار جزأين؛ يجري هذا الحوار بين حضارتين أو أكثر من ناحية، ويجري في التحدث بين أفراد نفس الحضارة حول مظاهر حضارة أخرى من ناحية أخرى؛ وإن الحوار الثاني أكثر حدوثاً كما أنه يشكل الاتجاهات التفكيرية التي تؤثر على الأول.

إنني أتمنئ عندما أسمع مسيحياً يشير إلى "الله" باللغة الإنجليزية و كأنه اسم الإله آخر غير الإله الذي يعبد هو (كأنه من طراز أبولو أو زيوس) ولسوء الحظ لا يعرف معظم المسيحيين أن "الله" هو الاسم بلغة العرب للإله الواحد الحق. إنهم لا يدركون أن "الله" هو التسمية المستعملة في النسخة العربية من الكتاب المقدس التي ترجم منذ زمن بعيد. إنه من الممكن أن سوء تفهم من هذه الطبيعة يؤدي إلى تأثير سلبي على المواقف تجاه الإسلام.

كما أننا لا نستطيع الافتراض بأن كل أمة تفهم طبيعة الكتب المقدسة لأمة أخرى يظن العديد من المسلمين أن الإنجيل يمثل تطابقاً مباشراً للقرآن، أي أن المسيحيين يؤمنون بأنه كلام الله الحرفي، أي نص نزل على الأنبياء؛ يوجد هنالك بعض المسيحيين الذين يقتربون من هذا ولكن ليس معظمهم كذلك. إن الأناجيل الأربعة مقدمة في نص عناوينهم الخاصة "إنجيل وفقاً لمرقس (أو متى، أو لوقا أو يوحنا) العناوين لا تقول "مكتوب بقلم مرقس" وطبعاً لا تقول "قرأه جبرائيل على مرقس" وبالرغم من أن الأناجيل لا تختلف في العقيدة، فإنها تختلف في ترتيب الأحداث في سيرة يسوع.



إن المسيحيين المتعلمين يعلمون هذا، ولا يزعجهم ما يمكن أخذه كعلامة للتأليف الإنساني، ليس رسائل بولص، وبتروص، ويحني سوى رسائل كتبوها لمجتمعات مسيحية منتشرة في المنطقة؛ إن معظم أسفار العهد القديم (وهو ما كتب قبل الميلاد من أسفار الكتاب المقدس) تواريخ، وشعر، وأقوال حكيمة تنسب بعض الفقرات منها إلى الله. توجد طبعة خاصة للكتاب المقدس يطلق عليها اسم طبعة "الأحرف الحمراء". يتم طبع كل الفقرات المنسوبة لله ذاته بالحبر الأحمر. إن هذه الفقرات قليلة جدا إلى درجة أنه يتوجب عليكم البحث عنها. و بالزيادة عن هذه الفقرات، فإن المسيحيين يؤمنون بأن كل أسفار الكتاب المقدس تحتوي بعض الفقرات على الوحي الإلهي.

إن جمع هذه المؤلفات المستقلة في مجموعة واحدة اسمها الكتاب المقدس، قد تم بعد بضعة قرون بعد الميلاد، ولا يزال البروتستانتين حتى الآن لا يتقبلون بعض الأسفار المقبولة من طرف المقر الباباوي في روما (الفاتيكان). ولقد صار المسيحيون من عدة قرون يطبقون كل أنواع التحاليل العلمية الحديثة لفهم تطور الإنجيل التاريخي. نتيجة عن ذلك إنه جد ممكن بالنسبة لكاتب مسيحي أن يتكلم جهلا عن القرآن الكريم باستعمال كلمات تكون محترمة جدا إذا استعملها للتكلم عن "الكتاب المقدس" في دينه هو، لكنه من الممكن أن يعتبرونها المسلمون مهينة عندما تستعمل بالنسبة للقرآن الكريم. ويمكن في مثل هذه الحالة خلق سوء تفاهم غير مقصود. من جهة أخرى، يحس العديد من المسلمين أن الثالوث المسيحي يقارب الشرك بالفعل لم يكن مظهر من مظاهر العقيدة المسيحية أكثر إثارة للبحوث، وحتى بين المسيحيين؛ وأمثال ذلك الخلافات التاريخية بين أهل الطبيعة المزدوجة Dyophysites أنصار المبدأ أن الله طبيعتين، وأهل الطبيعة الواحدة Monophysites أنصار المبدأ أن الله



طبيعة واحدة، وأهل الطبيعة المزدوجة والإرادة الواحدة **Monothelistes** أنصار المبدأ بأن لله طبيعتان ولكن إرادة واحدة.

إن هذه المناقشات في أول المراحل المسيحية معقدة جدا وليس من الممكن دراستها هنا يكفي القول بأن طوال التاريخ المسيحي أجمع العلماء المسيحيون على أنه لا يمكن قبول أي تفسير للثالوث المسيحي ينكر أحد ما يلي: أن الله هو الإله الوحيد الحق، وأن الله واحد، أي غير مركب من أجزاء. وبالرغم من أن الدين المسيحي قام بتشجيع الدراسة التأملية لأصول الدين، أجمع العديد من علماء أصول الدين المسيحي على أن التفكير الإنساني عاجز عن فهم طبيعة الله الجوهرية.

هذه الأمثلة توضح بأن لكي ينجح حوار الحضارات فعلى كل طرف أن يأخذ العلم بخصوص الآخر بطريقة أحسن إنها تركز الانتباه على ضرورة أن يكون كل طرف صبورا مع الطرف الآخر، إن من السهل استغلال الخلافات ليزيد اللهب وقودا؛ ولكن من الأكثر صعوبة البناء على الأشياء المشتركة بيننا لتعزيز الانسجام والتعاون، كما أنه أكثر أهمية وفي فائدة الجميع.

لقد جرى التركيز على الدين إلى حد الآن مع أنه جوهرى، يجب علينا تجنب مأزق الافتراض بأن كل ممارسات شعب ما تنجم عن دينه مثلا، سمع الكثير من الأمريكيين أنه إذا حدث وأن كان لامرأة مسلمة غير متزوجة علاقات جنسية، يقوم أخوها أو أبوها بقطع رقبتها؛ بعضهم يظن أن هذا هو الإسلام يعلم العلماء الأمريكيون أن هذه الممارسة ليست دائما متبوعة وإنما موجودة في منطقة البحر الأبيض الكبرى، بما في ذلك المناطق المسيحية، كجزء من اليونان وصقلية.



وبطريقة مماثلة، يظن بعض الأمريكيين أن ختان البنات بقطع البظري ممارسة إسلامية، إنهم لا يعلمون أنه يمارس في الغالب في بعض نواحي شمال شرقي إفريقيا، من طرف مسلمين، ومسيحيين، وآخرين وأنه يظهر أنه دخل مصر من الجنوب في العصور القديمة إلى درجة أن البعض يدعونه الختان الفرعوني ولقد رفض هذه الممارسة أكثر من شيخ من شيوخ الأزهر.

في هذه الأحوال نجد ممارسات شعب تناقض دينهم. بناء فكرتنا للإسلام على أساس مثل تلك الممارسات شبيه ببناء فكرتنا عن المسيحية على أساس أفلام هوليوود، إن كل مجتمع معقد وله تيارات تتعرض بعضها البعض.

إنه من الممكن أن المظاهر السلبية لحضارة ما لا تمثل بالخصوص جزء من دينها، أو منبثقة منه. كما أنه من الممكن أن الكثير من النتائج الجيدة لحضارات العالم لا تمثل جزءا من دينهم مثال على هذا، موسيقى الآلات الوترية. موسيقى العود تطورت أولا في الحضارات الوثنية القديمة في الشرق الأوسط، و تطورت أكثر على أيدي المسلمين، والآن يتشاطرونها بينهم وبين العازفين الأوروبيين آلة الغيتارة الكلاسيكية، الكل يعترف بأن الموسيقى لغة دولية تتجاوز حدود الثقافات المختلفة. مثال آخر هو العلوم الطبيعية والتقنية التي تمثل الاكتشاف الإنساني لقوانين الطبيعة. ليس من الممكن لأي مجتمع أن يمتلك الطبيعة أو قوانينها. إن الماء يغلي بنفس الدرجة في الإسكندرية، ومومباي ونيويورك. إن الماء ليست بوذية أو مسلمة، أو مسيحية. ليس هنالك فيزياء مسيحية، أو كيمياء مسلمة. بالرغم من أن مفهوم الصفر و النظام العشري قد تطورا في الهند، فإن الرياضيات ليست بوذية اثنان زائد اثنان يساويون أربعة في كل مكان، اختلف تاريخيا المؤسسات الاقتصادية من منطقة لمنطقة ونجد أشكالا منها أكثر وجودا في الدول المسيحية وأخرى في



الدول الإسلامية، ولكن حتى علم الاقتصاديات يجب أن لا يخص ديناً من الأديان إذا نجح علماء الاقتصاد في اكتشاف وفهم قوانينها على مستوى العلوم الطبيعية التي هي عالمية، وكلية، وتعتبر ملكاً للإنسان كله.

الخلاصة:

- 1- إن حوار الحضارات يجري على محورين على الأقل، حوار بالكلمات، وحوار المعاملات حيث يتعاملن أفراد من حضارات مختلفة في تعامل حميم.
 - 2- إن الأشخاص بحاجة إلى الفهم الأكثر كمالاً لاعتقادات الآخر. وفي الغالب إن سوء التفاهم وليد الجهل.
 - 3- يتوجب علينا أن نعاني نجنب نسب ممارسات شعب كلها إلى دينه. بإمكان مجتمع أن يشتمل على ممارسات مناقضة لدين أغليبيته.
 - 4- إن حوار الحضارات يتوقف على النية الحسنة والصبر. حتى وإن كانت المعرفة المتزايدة تزيل سوء التفاهم، سوف تمكث هنالك اختلافات فعلية مهمة. لا يجب علينا احترام فردية كل منا فقط، بل الابتهاج بها. إن غنى تقاليد كل حضارة يزيد إلى ثروة العالم الثقافية. يستوجب علينا أن نكون قابلين لتبادل وجهات النظر دون محاولة صنع الآخرين على صورتنا الذاتية.
- أخيراً، سيتوقف نجاحنا أيضاً على إدراكنا للمشاكل الناجمة من المعلومات الانتقائية الغير ممثلة للواقع إن وسائل الإعلام تميل إلى التركيز على الأخبار الغير سارة، كثيراً ما نستمع إلى تقارير أزمات ومشاكل إخواننا في هذا المكان أو ذاك من المعمورة، ولا نعلم عن ملايين أعمال الكرم كل يوم بين أعضاء حضارات العالم المختلفة إن شاء الله، تزايد الحوار بين الحضارات سوف يؤدي إلى تقليل توفر الأخبار الغير سارة لدى وسائل الإعلام.